

روحانية النفس ومادية العقل في التفكير الفلسفي

حسن محمد أحمد ومحمد

جامعة أم درمان الإسلامية – السودان،

tleap2@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/05/30؛ تاريخ القبول: 2018/09/04

Spirituality of the soul and the materiality of the mind in the philosophical thinking

Abstract:

In the following pages, the researcher will deal with a complex subject since the relationship between the soul and the mind is plagued by many impurities, and surrounded by numerous ambiguities that may be revealed by the great research in this area. The aim of the present study is to present some of what is going on in the minds and souls, especially as philosophers yearn for ideal life, a theoretical philosophy that believes that absolute truth is embodied in a world beyond the sensual world, which is the spiritual world that the soul loves and desires to travel and live in. The question is: Is the truth lies in the weakening of the mind and its material, or is it living in the soul and spirituality ? Accordingly, there are those who believe that the truth is purely mental, they are materialists, and others believe that the truth is purely spiritual, But the contemplator sees that both teams have the right side and the road serious, the material converts people to demons that are only the luxury of life and melts, while the human spiritually transmits to the celestial beings and not the capacity of humanity to

bear, then the right is to enjoy the human being In his flesh, that is to blend spiritual spirituality and physical mind.

The idea of this research, which the researcher hopes to reach, is to find out a kind or degree of harmony between the spirituality of the soul and the materiality of the mind. Vtggian spirituality of the soul is human in distant worlds and does not live in reality, and the reliance on the materiality of the mind makes man the beast of the earth, thinking only the devilish desires and animal pleasures.

Keywords: Philosophy; Breath; Mind; Psyche; Matter.

ملخص:

هل الحقيقة تكمن في تلايف العقل وماديته، أم أنها تعيش في النفس وروحانيتها؟ وبناء على هذا التساؤل، هناك من يرى أن الحقيقة عقلية محضة، وهم الماديون، ويرى آخرون أن الحقيقة روحانية صرفة، وهم الروحانيون، ولكن المتأمل يرى أن كلا الفريقين قد جانبه الصواب وحاد عن جادة الطريق، فالماديون يحولون الناس إلى شياطين لا هم لها سوى ترف الحياة وملذاتها، بينما يحيل الروحانيون البشر إلى كائنات علوية سماوية لا طاقة للبشرية على تحملها، فالأصوب، إذًا، هو أن يتمتع الكائن البشري ببشريته، أي أن يمزج بين روحانية النفس ومادية العقل، وهذا هو ما يود الباحث الحديث عنه في صلب موضوعه.

تعيش النفس حالة روحانية تسمو بها عن مادية الواقع، بينما يعيش العقل اللحظة الوجودية المعنة والموغلة في المادية، من هنا جاءت فكرة هذا البحث، الذي يأمل باحثه في أن يحالفه التوفيق في إيجاد نوع أو قدر

من الانسجام والتواءم بين روحانية النفس ومادية العقل، فلا يطغى أحدهما على الآخر في الإنسان، فبطغيان روحانية النفس يهوم الإنسان في عوالم بعيدة ولا يعيش في الواقع، كما أن الركون إلى مادية العقل يجعل من الإنسان دابة من دواب الأرض، فلا يفكر سوى في الشهوات الشيطانية والملذات الحيوانية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة؛ النفس؛ العقل؛ الروح؛ المادة.

مقدمة:

(أنا أفكر إذا أنا موجود)، هي مقولة، الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت الذي كان يعتقد أن الله أشبه بالعقل، ويتمثل وجه الشبه في وجهين: الأول: كلاهما يفكر، والثاني: ليست لدهما (الله والعقل) وجود حسي. وثمة خلاف بينهما، الأول: أن الله لا تحده حدود مطلقاً، بينما لا يستطيع العقل الانعتاق من سيطرة المحدودية، فهي التي تتحكم فيه. والثاني: الله لا يعتمد، في وجوده، على سواه، بينما العقل لا يملك القوة اللازمة للوجود بذاته؛ فلا بد له من صانع، هو الله، الذي خلق العقل. وكل نظام يدل على وجود العقل (سانتلانا، 1981: 56)، والعقل، بما فيه من طبيعة نورانية عالقة، لا يمكن صدوره إلا عن خالق قادر وحكيم يعرف كيف يصنع مخلوقاته ويحكم صنعها. والعقل، كما يرى ابن سينا، لا آلة له ولا محل (شرف الدين، 1988: 69).

قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) الحج: 46. وقال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الجاثية: 13. وقال: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: 191)

المفكر، هو الذي لا يقنع بما هو كائن، وإنما يسعى إلى تجاوز الواقع إلى ما ينبغي أن يكون، والتفكير هو وظيفة عقلية محضة لا يشاركه فيها غيره، فهو، التفكير، إفراز ونشاط ذهني يهدف إلى الارتقاء بالنفس الإنسانية والسمو بها من حضيض المادة؛ إذ إن هناك العديد من البحوث والدراسات التي تؤكد على أهمية التأمل الارتقائي (Transcendental Meditation) والإيمان (Faith)؛ في علاج القلق والتوتر وارتفاع ضغط الدم والصداع النصفي والأرق وتفيض نسبة الكوليسترول، وغيرها من الاضطرابات النفسجسمية (Psychosomatic) (بدري، مالك بدري، 1995: 50)، من هنا اتجه علم النفس (علم النفس التجريبي) ببحوثه إلى السلوك التفكيرى الذي يستخدمه الإنسان في التخطيط والتنظيم؛ مما جعل منه مصنفًا ومحللاً للمعلومات (information processor)؛ وذلك من خلال علم النفسي والتفكير، والتأمل الارتقائي (Transcendental Meditation) (بدري، مالك بدري، 1995: 19). إذاً فالصلة بين العقل والنفس، تدعونا إلى التوفيق بين روحانية النفس ومادية العقل، وقديماً قيل: إن خير إمارة للروح الفلسفية أن يهوى المرء شتى العلوم.

وخير إمارة للروح العلمية أن يجب المرء الفلسفة. فالفلاسفة يطلعون بمهام وظيفة من أجل المهام؛ فيعوضون التخصص بشمولية المعرفة، ليدرکوا غاية لا يدرکها المختصون، وفي رأي ابن رشد، أن العقل يستمد المعلومات من المحسوسات بواسطة التفكير، وكل فكر من أفكارنا هو صورة من العالم المادي، فهناك صلة بين العقل المفكر والمحسوس (ابن رشد، 2005: 82)، فالعقل هو إدراك الموجودات بأسبابها، وحال من رفع الأسباب كحال من رفع العقل، وأبطل العلوم. وفي رأي ابن خلدون (732-808هـ، 1332-1406م)، أن الفلسفة مستحدثة لأنها تنشأ في الأماكن الحضرية، ويقول، ابن خلدون، إن قوماً من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله، المحسوس وما وراء الحواس، تُدرك أدواته وأحواله، بأسبابها وعللها، بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية، وكون تصحيح العقيدة الإيمانية بالنظر، لا بالسمع، ويسمى هؤلاء، باللسان اليوناني، بمجبي الحكمة، وهم اللذين وضعوا المنطق، وهو قانون يهتدي به العقل في نظره للتمييز بين الحق والباطل. ويتفق كل من ابن رشد وابن خلدون حول ضرورة التعمق في الشرع، قبل البدء في مطالعة الفلسفة ودراستها، فيقول ابن خلدون: وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يُنكبَّنْ أحدٌ عليها وهو خلُو من علوم الملة فقلَّ أن يَسْلَمَ لذلك من معاطبها (ابن خلدون 1966).

— العقل: جاء في مختار الصحاح: في مادة (عقل)، الحجر والنهى ورجل عاقل وعقول وقد عقل من باب ضربوا معقولا أيضا وهو مصدر، وقال

سيبويه: هو صفة وقال إن المصدر لا يأتي على وزن مفعول البتة والعقل، أيضاً، الدية، والعقول بالفتح الدواء الذي يمسك البطن والمقل الملحأ وبه سمي الرجل (الرازي 1995م)، وفي لسان العرب العقل الحجر والنهى ضد الحمق والجمع عقول وفي حديث عمرو بن العاص تلك عقول كادها بارئها أي أرادها بسوء عقلي عقل عقلا ومعقولا (ابن منظور 1966).

ويتفق علماء الجهاز العصبي؛ أنه أعقد شيء في كون الله الواسع، وعلى حد قول يوتال (Uttal)، في كتابه: (The psychobiology of the mind)، إن جميع الأبحاث والكشوفات الحديثة، في التعرف على عمل الدماغ الإنساني لم تساعدنا في حل عقدة الإنسان التاريخية عن صلة عقله بجسمه (بدري، مالك بدري، 1995: 26)، إلا أن الفلاسفة العقلانيين، وهم فلاسفة عصر التنوير أو ما يسمى بعصر العقل، يرون أن الناس يستطيعون إدراك الحقيقة مباشرة، بالعقل وحده، وأن العقل هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ الحقيقة، وأن التفكير العقلي هو السبيل الوحيد لحل كل المضكلات التي تعترض سير الإنسان، فأعلوا من شأن العقل ومكانته، مبتعدين عن المشاعر والأحاسيس العاطفية؛ الأمر الذي انعكس على تطور العلوم وسيطرة العلم على مفاصل الحياة الإنسانية خلال القرنين 17م، 18م، حيث اعتمد الفلاسفة العقلانيون، خلال تلك الحقبة، اعتماداً تاماً على التجريب والملاحظة الدقيقة، وهي سمات وملامح المنهج العلمي الذي ظل يتطور إلى اليوم. يقول جون لوك (الفيلسوف الإنجليزي): إن العقل شمعة الله التي نصبها بنفسه في أذهان الرجال،

وبأن العقل يجب أن يكون آخر حَكَمٍ ومُرشد لنا في كل شيء (الموسوعة العربية العالمية: 2004)، وقد تسنم ذلك العصر، عصر العقلانية، العديد من الفلاسفة الكبار: رينيه ديكارت وغوتفريد لايبنيز، باروك سبينوزا، دو كوندورسيه، رينيه ديكارت، دينيس ديدرو، جان جاك روسو، فولتير، جون لوك. وفي رأي ديكارت (1596-1650م) أنَّ العالم يتألف من عنصري المادة والروح. فالمادة هي الكون المادي الذي نحن جزء منه. أمَّا الروح فهي العقل الإنساني الذي يتفاعل مع الجسم الذي يمكن، من حيث المبدأ، أن يوجد بدونه، وفي اعتقاد ديكارت أنَّه بالإمكان فهم المادة من خلال مبادئ بسيطة معيَّنة استعارها من الهندسة، إضافة إلى قوانينه في الحركة، ووفقاً لما يراه ديكارت، فإنَّ العالم بأسره، بما في ذلك قوانينه وحتى حقائق الرياضيات، من مخلوقات الله الذي يتوقف كل شيء على قدرته، كذلك كانت آراء سبينوزا (1632-1677م)، في هذا الجانب، متأثرة بفلسفة ديكارت، حيث رأى أن الفكر والمادة هما النظامان الأساسيان للواقع، وأن العالم المادي ليس سوى أجزاء من المادة تتحرك وتتفاعل وفق قوانين سببية، ومن آرائه، كذلك، أن الله أو الطبيعة هي المادة الحقيقية، وأنَّ الفكر والمادة هما من الصفات المتناهية للإله، وأن الأشياء الفانية، كالعقول والأجساد البشرية، تمثل أشكالاً أو حالات من صفات الله؛ وبذلك يكون سبينوزا قد أنكر وجود أي إرادة بشرية أو إلهية. (الموسوعة 2004م)، حينما يكون العمل بالعقل أمراً من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله، أو خوفاً منه، ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الجماعات من الخلق تحيط بالخلق

وتتعاقب مع الأجيال (العقاد، 1975: 214)، وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن مفكري المعتزلة قد سبقوا فلاسفة عصر التنوير بوقت طويل، بأفكارهم وآرائهم العقلانية، إذ إن الحسن ما حسنه العقل والقيح ما قبحه العقل (بدري، مالك بدري، 1995: 214)، من أبرز مبادئهم وأفكارهم. وعلى الرغم من جهلنا بكثير من نشاطات الدماغ البشري؛ فإن الماديون يزعمون بأنه ليس هناك «عقل» للإنسان إلا إذا كانت هذا اللفظ يعني الدماغ الذي يحمله كل منا (مجموعة الخلايا العصبية)، أما ما نسميه بالعقل المفكر فما هو إلا مجموعة انعكاسات وترجمات دقيقة تحدثها النبضات الكهربائية (Electrochemical) التي تحدث في خلايا العصبية الدماغ، ودليلهم، أن أي تلف أو تغير في خلايا الدماغ ينعكس على شخصية الشخص ونمط تفكيره (محمد جواد مغنية، 1984: 39).

— النفس والجسد:

النفس ظاهرة من ظواهر الجسد (محمد جواد مغنية، 1984: 39)، فهي أشبه بالطاقة والقوة الدافعة والحركة للبدن وما فيه من حواس، ظاهرة ومخفية، الأمر الذي جعل منها المتحكم في كل الأنشطة والأفعال الصادرة عن الإنسان، وقد أقسم بها الله تعالى في قوله:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس: 7-10).

يقول صاحب كتاب أضواء البيان (الشنقيطي، 1995: 536): في تلك الآيات العشر يقسم الله تعالى سبع مرات، بسبع آيات كونية هي الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والنفس البشرية مع حالة لكل مقسم به وذلك على شيء واحد وهو فلاح من زكى تلك النفس وخيبة من دساها،... وفي تفسير ابن كثير (ابن كثير، 1980: 517): (فألهما فجورها وتقواها)، أي فأرشدنا إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس: (فألهما فجورها وتقواها)، بين لها الخير والشر. وكثيراً ما تتقلب النفس البشرية بين الخير والشر، وقد جاء في الحديث النبوي: (عن النواس بن سمعان سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول الميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويضع آخرين وقلب بن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أقامه وإذا شاء أزاغه وكان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) (النيسابوري، ب. ت.: 317). (عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول لقلب بن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمع غليانا) (النيسابوري، ب. ت.: 317).

— النفس في الفلسفتين:

هناك تشابه كبير، ربما يبلغ حد التطابق، حول مفهوم النفس في الفلسفتين، اليونانية والإسلامية، فمفهوم النفس لدى الفلاسفة المسلمين: الكندي والفارابي وابن سينا الغزالي وابن رشد يتفق مع ما

توصل إليه كل من أرسطو وتلميذه أفلاطون، فالكندي يرى أنها، تامة جرم طبيعي ذي آلة قابلة للحياة، وهي أيضاً استكمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة، وهي خالدة غير قابلة للفناء كالجسد، وعند الفارابي، هي على صورة الجسد، وإنها جوهر روحي مباين له، وأنها تدرك المعان المجردة (المعقولات)، فهي جوهر معقول مستقل عن البدن، ويحدثنا ابن سينا عن خلود النفس وبقائها بعد تحلل الجسد فنائه، في قصيدة نجتزئ منها الأبيات التالية (زكريا بشير إمام، 1998: 229):

هبطت إليك من المحل الأرفع * ورقاء ذات تعزّزٍ وتمنّع
محجوبة عن كل مقلة عارف * وهي التي سمرت ولم تتبرقع
وصلت على كُرهِ إليك وربما * كرهت فراقك وهي ذات تفجّع

.....

سجعت وقد كُشف الغطاء فأبصرت * ما ليس يُدرك بالعيون الهجّع
وغدت مفارقة لكل مُخلفٍ * عنها حليف الترب غير مُشيع

(مصفى غالب 1988م). ولعل وجه الشبه بين ابن سينا وأفلاطون، حول نظرتهم للعالم غير المحسوس الذي هبطت منه النفس وهو عالم المثل، ثم يأتي الغزالي ليقول لنا: إن النفس خالدة، فأما النفوس الطيبة فهي خالدة في الجنة ونعيمها، والخبثة خالدة في النار وجحيمها، والنفس عند ابن رشد مرتبطة بالجسد كارتباط الصورة

باليولي أي أن علاقتها به عرضية تنتهي بفناء الجسد، حيث يرفض ابن رشد مذهب ابن سينا في بقاء النفوس المتكررة ويقول إنها لا تبقى إلا باعتبارها كملاً للجسد؛ ورأي ابن رشد، في النفس، هو مزيج من أفلاطوني وأرسطي. ولا يفوتنا، في هذه العجالة، التذكير بمفهوم النفس عند حكماء اليونان: فهي، جوهر عقلي متحرك من ذاته، وجوهر إلهي بسيط (هيولي)، وهي نور الباري والعالم الشريف الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت، هو مقامها الأبدي ومستقرها الدائم (مصطفي غالب، 1988: 69).

لم يكن هدفنا مما سردناه، باختصار، إلا التأكيد على أمرين، أحدهما: مدى التشابه والتطابق بين الفلسفتين عند المقارنة بينهما حول مفهوم النفس، والآخر: أن هذا التطابق يؤكد سمو النفس ورفعة مكانتها الروحانية، كما سنبين لاحقاً.

— النفس والعقل:

ألا أن الأمر المستغرب والمثير للدهشة، هو أن ينغمس الفلاسفة في دراسة النفس والعقل، باعتبارهما جواهر مستقلة وقائمة بذاتها، وأن تتناول مباحثهم الفلسفية، مسألة الخلود وعدم الفناء بعد فناء الجسد؛ إذ أنهم حصروا مجهوداتهم في دراسة علاقة نفسية جسدية، أو عقلية جسدية، وهم بذلك قد جعلوا للمثلث ضلعين فقط وأهملوا الضلع الثالث والذي يتمثل في العلاقة التي تجمع بين جوهر النفس وجوهر العقل. فكيف يتأتى للإنسان، إذًا، أن يصبح إنساناً روحانياً دون أن

تكون ثمة علاقة وثيقة تمزج بين النفس والعقل؟؟، يقول أبو الفتح البستي:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها * فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

ولعل إهمال الفلاسفة للعلاقة بين النفس والعقل، قد نجم عن تداخل مفهوم النفس والروح، إذ أنهم استعملوا اللفظين باعتبارهما مترادفين لمعنى واحد، يرى سقراط، أن الإنسان روح وعقل، وأن الصورة العقلية التي ترسم في الأذهان، بعد تجريد المفردات من المادة؛ هي حقيقة الشيء وجوهرة الذي يقوم به وجوده... (سانتانا، 1981: 63)، فإذا جردنا الشخص من كل ذلك؛ أدركنا، في آخر الأمر، ما به الإنسان إنساناً، هو عقله وروحه. وقال، في إحدى محاوراته: لا تفسر، أيها الحبيب، أن روحك التي في جسمك تنصرف فيه كما شئت، فعليك أن تعتقد أن العقل هو أصل الأشياء، والمتصرف فيها كما شاء... (سانتانا، 1981: 62). ويتضح لنا مما سبق أن سقراط، وغيره من الفلاسفة، قد استخدموا لفظ النفس وهم يريدون الروح والعكس كذلك، وكأن لفظ النفس مرادف للفظ الروح، وما يدل على ما ذهبنا إليه قول ابن سينا: إن النفس جوهره روحانية، غير قابلة للكون أو الفساد، ولا تتكاثر ولا تتألف من أشياء، بل قائمة بذاتها (محمد لطفي جمعة، ب. ت.: 61). فابن سينا يصف النفس بأنها روحانية، وهو قول جميل ورائع ولا خلاف عليه من حيث الاتفاق، إلا أن ثمة توضيح لابد منه وهو، أن النفس ليست هي الروح، أما أن تغدو النفس

الإنسانية روحانية؛ فهذا ما لا يمكنها إدراكه إلا بعد اتحاد النفس والعقل لتصبحا نسيجاً واحداً، ولا سبيل إلى ذلك النسيج المتحد والمزيج المتماسك، إلا بأن ترتقي النفس فتصبح النفس نفساً عاقلة، والوصول إلى هذه الخطوة يستلزم وجود علاقة تمازجية بين النفس والعقل، تسمو بالإنسان من حضيض المادة وشهوانيتها إلى صفاء الروح نورانيتها، حيث تتكامل هناك النفس مع العقل لتصبح روحاً جسدية وأرضية المنشأ والمبدأ، سماوية وعلوية الغاية والمنتهى، والنفس الروحانية من سمات الرسل والأنبياء وأولياء الله الصالحين، والفلاسفة والمفكرين الذين اعتقوا من قيود المادية وانطلقوا إلى رحاب الروحانية، فما الإنسان إلا روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره، لاسيما، أن القوانين العادلة تصدر عن العقل، فمن يحترم القوانين العادلة، يحترم العقل والنظام الإلهي (سانتانا، 1981: 64).

— النفس الروحانية:

لقد حدثنا القرآن العظيم عن الروح في العديد من المواضع، قال تعالى:
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: 85).

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر: 72).
(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) (غافر: 15)

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (السجدة: 7-9)

وفي الصحيحين: (عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) (البخاري، ب.ت.: 1213)، وقال، تعالى في القرآن العظيم:

(وَأَنَّهُ لَنَتَنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (الشعراء: 192-194)

وفي الصحيحين، أيضاً، (عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال بينا أنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر، اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسأله عن الروح، فأمسك، صلى الله عليه وسلم، فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي، قال: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (البخاري، ب.ت.: 1749).

وقد نجد أن هنا اتفاقاً بينا وواضحاً بين ما تحمله الآية السابقة من معنى، وبين ما ذكره أخوان الصفا في رسائلهم، فهم يقولون: إن

الإنسان، ومنذ وجوده على هذا الكوكب، لم يهدأ عن الاستفسار والسؤال عن هبوط النفس من العالم الروحاني العلوي وتعلقها بالأجسام في العالم الأرضي (مصطفى غالب، 1987: 56)، وقالوا: ثم نفخ فيه من روحه فقرن ذلك الجسد الترابي بنفس روحانية (مصطفى غالب، 1987: 55)...، وقالوا، أيضاً: ثم نفخ فيه من روحه نفساً ورحاً قرنهما بجسده، فبالنفس يسمع ابن آدم ويبصر ويشم ويذوق ويلمس ويحس ويأكل ويشرب وينام ويقعد ويضحك ويبكي ويفرح ويحزن، وبالروح يعقل ويفهم ويدري ويتعلم ويستحي ويحلم ويحذر ويتقدم ويمتنع ويتكرم ويقف ويهاجم، فمن النفس تكون حدته وخفته وشهوته ولعبه ولهوه وضحكه وسفهه وخداعه ومكره وعنفه وخرقه، ومن الروح يكون حلمه ووقاره، وعفافه وحيأؤه وبهاءه وفهمه وتكرمه وحذقه وصدقته ورفقه وصبره، فإذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاق النفس، قابله بضده من أخلاق الروح، فألزمه إياه فيعدله به ويقومه. ويمثل الجانب الروحي الصلة الداخلية للمؤمن بالله وانشداده النفسي العاطفي... من حيث الإيمان والحب والإخلاص، وما يرافق هذه المعاني الثلاثة من خوف ورجاء وتواضع، حيث إن المضمون الداخلي المرتبط بالله تعالى، هو الجانب الروحي وهو الذي يشكل الأساس الذي يقوم صرح الشخصية وكيونته (حسين معن، ب.ت.: 46).

- النفس والقلب:

قد يرى الكثير من الناس أن القلب لا يمثل سوى مضخة للدم ولا شيء أبعد من ذلك، وأولئك هم الماديون الذين تمكنت منهم النظرة المادية حتى حجبت عن قلوبهم، ولا أقول عن أعينهم، فهم مبصرون ولكنهم لا يرون في القلب غير الجانب المحسوس هو الخفقان وتدفق الدم عبر الأوردة والشرايين، غير أن في هذه المضغة الكثير من العجائب والأسرار، التي قد لا يتسع المجال للخوض فيها الآن، إلا بالقدر اليسير، فإن العقيدة وصحة الأعمال كلها مدارها على النية كما في حديث (إنما الأعمال بالنيات) وحديث (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)، وقال الفخر الرازي خصص القلب بالذكر لأنه محل لأصول الأعمال (البيهقي، 1996م: 68)، قال تعالى:

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) البقرة: 74.

وفي الحديث، (عن أنس أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال روحوا القلوب ساعة بساعة) (القضاعي، 1986: 393)، ونختم حديثنا هذا بشيء مما يروح عن القلوب المتعبة ويبهج المشتاقة إلى الروحانية، يقول الغزالي: الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء؛ لتصير طبعها انتهاءً، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، (النفس والبدن)، فإن كل صفة تظهر في

القلب يفيض أثرها على الجوارح؛ حتى لا تتحرك إلا وفقها، لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه يرتفع منه أثر إلى القلب (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ب.ت.: 56). ولنقرأ مع أفلاطون هذه المناجاة الروحية النفسية، في كتابه، الرائع، (معاذلة النفس): يا نفس، تمثلي وتصوري ما أنا مورده لك من المعاني العقلية الموجودة وجوداً دائماً، فما تصورته فقد عقلته وقد اقتنيت وتيقنته... كسائر ما قد عقلته وشاهدته وشافهته في عالم العقل وعالم الحس، وما خفي عنك...، مما أنا مبينه لك، فاستعملي فيه التمثل العقلي المتقن البريء من اختلاط واختلاف، فإنه سيدلك ظاهره على باطن ما خفي عنك (مصطفى غالب، 1987: 115)...، يا نفس، وأنت ذات العقل والتمييز، تأين الرجوع إلى وطنك وعنصرك الذي هو شرفك وعزك، وتكرهين ذلك وتحبين البعد عن أصلك ونبعك...، أبالطبع تختارين ذلك أم بالعقل؟... فتصوري، يا نفس هذه المعاني، وارجعي بعقلك إلى شرفك الأعلى ومحلك الأقصى (مصطفى غالب، 1987: 140). إن أفلاطون في حديثه هذا كأنه يردد في، مناجاته للنفس، قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي) (الفجر: 27-30).

الأمر الذي يشير وجود إشارات إيمانية، ربما تكون، حقيقة قد انبعثت من نفس أفلاطون بعد أن تشربت وأدركت حقيقة أصلها وتغلغلَت فيها، فهو، في هذا الموقف، مجرد من نفسه شخصية يتمثلها أمامه،

ويحدثها حديث الصديق الصدوق الذي لا يخادع ولا يداهن خوفاً وطمعاً، خوفاً من العذاب الرباني، الذي يجاهد من أجل تنجو نفسه منه، وطمعاً في النعيم الإلهي الأبدي، الذي يمني نفسه ويطمح في الفوز به، وهو أجل الغايات الإنسانية وأسمى ما تهفو إليه النفس البشرية الروحانية والذي تطمح أن تدركه، وهو الرجوع إلى المحل الأرفع، حيث الجلال والكمال الإلهي.

يقول فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة، أبو العلاء المعري،:

تخطئنا الأيام كأننا * زجاج لكن يعاد لنا سبك

إن القارئ لهذا البيت يرى أن أبا العلاء قد أوغل، بعيداً، في ماديته؛ الأمر الذي جعله يتشبث بالعقل تشبث الغريق بالحياة، فكتب عنه الكثير الشعر الذي يعلي فيه من مرتبة العقل ويرفع من شأنه، فالعقل، عنده، الإمام الهادي الذي يجلب الرحمة في كل الأوقات وكل الأحوال، فيقول:

كذب الظن لا إمام سوى العقل * مشيراً في صبحه والمساء

فإذا ما أطعته جلب الرحمة * عند المسير والإرساء

وهو لا يرى في الورى من يمكن الوثوق به، على الإطلاق، غير العقل، فعليك أن تشاوره وأن تنصت لمشورته دون سواه:

فشاور العقل واترك غيره هدرا * فالعقل خير مشير ضمه النادي

ويعلي أبو العلاء من مكانة العقل، لدى الإنسان، حتى أنه قد جعل منه النبي الهادي الذي على الإنسان أن يهتدي به على الدوام:

أيها الغر خصصت بعقل * فاسألنه فكل عقل نبي

ويطلب أبو العلاء إلى كل إنسان ألا يقبل من الأحاديث، إلا ما كان مؤيداً بالأدلة والبراهين المادية المؤكدة التي يقبلها العقل:

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة * إذ لم يؤيد ما أتوك به العقل

لا نشك، مطلقاً، في أن أبا العلاء قد ارتقى بالعقل وإمكاناته مرتقى بعيد المدى، حتى أن هناك من قال بكفره وإلحاده، ولكننا لا نركب هذا المركب ولا نتنكب ذلك الدرب الوعر، الذي يدعو إلى إخراج أبي العلاء من الملة، وإنما نميل مع أولئك الذين يقولون بعمق إيمانه وقوة يقينه، وحاديته في ما ذهب إليه هو العقل وماديته، لا النفس وروحانياتها، فالعقل يقوم على الشك وطلب الدليل والبرهان على الدوام.

وينشدنا الأديب والشاعر الإيطالي، دانتي، في كتابه (الكوميديا الإلهية):

إن مجد من يحرك جميع الكائنات يتغلغل في أرجاء العالم.

ويزداد بهائؤه في جانب ويقل في سائر الجوانب.

لقد بلغت السماء التي يشتد ما يضيفه عليها أنواره.

وشهدت أشياء لا يقوى على وصفها ولا يعيها من يهبط من العلياء.

إذ أنه باقتراب عقلنا من غايته، يمضي مستغرقاً في تأمله، حتى لتعجز ذاكرتنا من تأثير خطاه (دانتي أليجيري، 2002: 83).

- الكومديا، المطهر: الآن يرفع زورق فكر أشرعت، لكي يجري على مياه هادئة. تاركاً وراءه مجراً خضماً.

وسأغنى بتلك المملكة الثانية. حيث تتطهر الروح الإنسانية، وتصبح جديرة بالصعود إلى السماء (دانتي أليجيري، 2002: 58).

إذا جازت المقارنة بين الشاعرين المعري ودانتي، كل حسب ما أوردناه من شعره، للمسنا الفرق بين الشاعرين، فالأول شاعر عقلاني يؤمن بالفكر ويرى أن الحياة كلها تقوم على التفكير المنطقي العقلاني القائم على الدليل والبرهان، بينما الثاني شاعر روحاني النفس غارق في تأملاته يعيش في جو مفعم بالجمال الروحاني وليس المادي فيقول: (إذ أنه باقتراب عقلنا من غايته، يمضي مستغرقاً في تأمله).

- خاتمة البحث:

الفلسفة هي الشجرة الباسقة الأغصان والوارفة الظلال، بل هي ساحل بلا شطآن للتفكير الذي يرمي إلى إدراك تلك المعاني التي شابها الغموض، وهو، أيضاً، يسعى جاهداً إلى أن يستكشف ماهية الحقيقة والمعرفة، وأن يستوعب القيمة الأساسية في الحياة. ولا يكتفي الفيلسوف بذلك وإنما يعمل كل عقله وفكره في التأمل في علاقته

كإنسان بالوجود والطبيعة التي تحيط به من كل جانب، وعلاقته بالبيئة النفسية والاجتماعية، والتفلسف هو القدرة على التساؤل والاستفسار، ومن ثم البحث عن إجابات تفسيرية لكثير من الأسئلة، أي أنه (التفلسف) عدم قبول الواقع كما هو عليه، فالفيلسوف إنسان لديه قدر عال من حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة والفهم، أكثر من الآخرين، فهو في حالة تأمل روحي دائم وتفكر تحليلي ناقد مستمر.

- النتائج:

- 1- الإنسان الحق، هو ذلكم الكائن البشري الذي يتميز بالقدرة على الاستشراق إلى ما بعد الموت، من خلال السمو الروحي والصفاء العقلي.
- 2- يعيش محبو الحكمة من الفلاسفة الحكماء، حالة عشق نورانية، تسمو بأرواحهم إلى ما فوق العوالم الإنسانية، حيث الجمال والجلال والكمال الرباني.
- 3- إن التفكير الفلسفي غايته واحدة، وهي إدراك الحقيقة الإيمانية، وهي غاية لا يدركها إلا الحكماء الذين يملكون القدرة على التأمل والتدبر والتفكير، وجميعها وإن كانت وظائف عقلية؛ ولكنها ركبت في الإنسان من أجل بلوغ السمو الروحي، يقول تعالى:

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)

* رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ * فَاسْتَجَابَ
لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ
بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا
وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ * لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمِهَادُ *
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (191-198).

4- تدخل الحكمة والتفكير الفلسفي في أخص شؤون الحياة البشرية،
فالبحر هم في أمس الحاجة إليها في جميع حركاتهم وسكناتهم، وفي
حياتهم وبعد مماتهم، يقول رب العزة، تبارك وتعالى:

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا أَوْ مَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (البقرة: 269)

الحكمة نور يهدي إلى الحق، ويسعى إلى كشف حقيقة الوجود، (عن
أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة
المؤمن فحيث وجدها فهو أحقها) (الترمذي، ب.ت.: 51) وقد ورد
في مسند الإمام أحمد، مرفوعا: مثل هذا الذي يسمع الحكمة ثم لا
يحدث إلا بشر ما سمع، كمثله رجل جاء إلى صاحب غنم فقال: اجزر

لي شاة، فقال: اذهب فخذ بإذن أبيها شئت، فذهب فأخذ بإذن كلب الغنم (إسماعيل بن عمر الدمشقي، 1401: 279).

- المراجع:

ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، 2005م، تهافت التهافت، المكتبة العصرية (بيروت).

ابن كثير: إسماعيل بن عمر، 1980م، تفسير ابن كثير، ج4، دار الفكر (بيروت).
الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: (ب.ت.). إحياء علوم الدين، دار القلم (بيروت).

أليجيري، دانتني أليجيري: 2002م، الكومديا الإلهية، المطهر، ترجمة: حسن عثمان، ط2، دار المعارف (القاهرة).

إمام، زكريا بشير إمام، 1998م، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الدار السودانية للكتب (الخرطوم).

البخاري، محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: (ب.ت.). صحيح البخاري ج4.

بدري، مالك بدري: 1995م، التفكير من المشاهدة إلى الشهود، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، دار الوفاء (القاهرة).

جمعة، محمد لطفي جمعة، (ب.ت.): تاريخ فلاسفة الإسلام، المكتبة العلمية (بيروت).

دافيد، دافيد سانتلانا، 1981م، الوجود الإلهي، مؤسسة ومكتبة الخافقين، (دمشق).

شرف الدين، خليل شرف الدين، 1988م، ابن رشد الشعاع الأخير، دار الهلال (بيروت).

الشنقيطي: محمد الأمين محمد مختار الحنكي، 1995م، أضواء البيان، ج: 8، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت)،

عز الدين إسماعيل، 1975م، في الأدب العباسي، دار النهضة، (بيروت)،
العقاد، عباس محمود العقاد، (ب.ت.): التفكير فريضة إسلامية، دار الهلال (مصر).

غالب، مصطفى غالب، 1988م: في سبيل موسوعة فلسفية (سقراط، أرسطو، أفلاطون)، دار ومكتبة الهلال (بيروت).

القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، 1986م: مسند الشهاب ج1، مؤسسة الرسالة (بيروت).

معن، حسين معن: الإعداد الروحي.

مغنية: محمد جواد مغنية، 1984م الإسلام والعقل، دار الجواد (بيروت).

الموسوعة العربية العالمية، إصدار 2004م

النيسابوري، محمد بن عبد الله أو عبد الله النيسابوري، (ب.ت.)، المستدرك على الصحيحين ج2.

للإحالة على هذا المقال:

- حسن محمد أحمد ومحمد، (2018)، « روحانية النفس ومادية العقل في التفكير الفلسفي ». المواقف، المجلد: 13، العدد: 02، ديسمبر 2018، ص.ص. 73-